أصـول الـتـربـيـة

في

الـقـرآن الـكـريـم

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢١٢
م . ن

متولي، نعمان عبد السميع .

أصول التربية في القرآن الكريم / نعمان عبد السميع متولى .- ط١.-

دسوق : العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،

١٠٠ ص ؛ ١٧,٥ × ٢٤,٥سم .

تدمك : 6 –363 – 308 – 977 – 978

١. التربية الاسلامية .   ٢.الأخلاق الأسلامية.

أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٩٩٦

الناشر : دار العلم والايمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

2012

إهداء

إلى الشباب المسلم في كل بقاع
الأرض ، داعياً الله أن يهدينا
جميعاً سواء السبيل .

فهرس الموضوعات

في فضل القرآن الكريم ومنزلته

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾ [النحل:١٠٢]

﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) ﴾ [الجاثية:٢٠]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر:١٧]

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ [فصلت:٣]

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ [ص:٢٩]

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) ﴾ [الإسراء:١٠٦]

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾ [لقمان:٢]

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾ [البقرة:٢]

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) ﴾ [الزمر:٢]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) ﴾ [الزخرف:٣]

﴿ ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) ﴾ [ق:١]

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾ [الجن:١-٢]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾ [الفرقان:١]

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ﴾ [الكهف:١-٢]

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) ﴾ [إبراهيم:١]



مقدمة

القرآن الكريم كتاب الله الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، وهو الدستور الأعظم الذى تناول كل جوانب الحياة واستوعب أركانها ، وتناول الطبيعة برها وبحرها وجوها ليبن للإنسان مكنون هذا الكون ، وهو الكتاب الذى تناول حقيقة الإنسان المسلم ، وسير أغوار نفسه واستكنه مكنوناتها ، وما تنطوي عليه من خير وشر.

في هذا الكتاب العظيم أجل دروس التربية وأعظم جوانبها .

وقد دأبت كليات التربية ، وأخذت على عاتقها تدريس نظريات التربية التي جاء بها الغربيون غافلين عما جاء في ثنايا القرآن الكريم من نظريات التربية وأسسها ، فلم نر منهجاً تربوياً مثلاً تناول دراسة هذه الجوانب التي أتى بها الإسلام .

ولم نجد منهجاً يقرر بعض الآيات التي تتناول الأسس التربوية .

وإنه لعجيب أن نغفل هذا الصرح العظيم والدر الثمين المكنون في كتاب الله العظيم .

وهنا في هذا المؤلف تناولت بعضاً من جوانب المنهج القرآني التربوي التي تثبت أن أصول التربية في القرآن الكريم وليست في نظريات الغربيين .

دكتور

نعمان عبد السميع متولى

أهمية التربية السليمة

إن الحضارات القديمة التي شيدتها الشعوب وأرست قواعدها على مر العصور لم تقم من فراغ ، بل كان وراءها قواعد ومقومات ، والثابت الذي لامراء فيه أن أسس التربية والأخلاق هي التي ضمنت بقاء هذه الحضارات واستمرارها وتفوقها على غيرها ، وسيادتها بين أقرانها .

وحضارة الإسلام عبر مسيرتها الطويلة كانت أسس التربية هي العماد الذي قامت عليه منذ عهد النبى الأعظم محمد - صلوات الله وسلامه عليه - ، وعهد الخلفاء الراشدين ، مروراً ببني أمية وبني العباس .

فقد كان الخلفاء حريصيين على التربية والأخلاق كل الحرص ، وكانوا أول من يلتزم بها في سياسة عامة الشعب متمثلة في احترام الإنسان وتوقيره والحفاظ على حقوقه ، وتوفير العيش الكريم له ، والحرص على رعايته وأمنه .

كما كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية ليتعلموا الطباع الحسنة ويتفقهوا في الدين ويتعلموا الأدب وعلوم اللغة ، وكيفية معاملة الآخرين ، وهم بذلك يعدونهم لتولى مهام الرياسة وحكم البلاد .

فقد روي أن أحد الخلفاء العباسيين أرسل أبناءه إلى البادية لتلقي العلم على يد أحد المعلمين ، وبعد عدة أشهر ذهب الخليفة إلى البادية ليطمئن على أبنائه ، فذهب إلى دار المعلم ، فلما رآه هب واقفاً ، فأسرع أبناء الخليفة يتسابقون أيهم يجهز نعل الشيخ ليرتديه ، فابتسم الخليفة وقال : الحمد لله ، الآن اطمأن ملكي .

كما حظى العلماء والباحثون بالمكانة المرموقة والتقدير في أرجاء الدولة الإسلامية ، فقربهم الخلفاء واتخذوا منهم المستشارين الذين يرجع إليهم في أمور الحكم وتصريف شؤون العباد ، ومنحوهم الجوائز والأعطيات .

ويكفي دليلاً على ذلك أن الخليفة المأمون جعل بطانته من العلماء كما أنشأ دار الحكمة ، وجعل جائزة لكل باحث بأن يعطى بوزن مؤلفه ذهباً .

ولو تأملنا مراحل الضعف التي مرت بها الحضارة الإسلامية ، لوجدنا مردها إلى ضعف التربية وفساد الأخلاق ، والابتعاد عن الدين الحنيف والقيم النبيلة .

وقد كان المستعمرون في عهود التخلف يحرصون كل الحرص على فصل أصحاب البلاد عن عقيدتهم ولغتهم وقيمهم حتى تتاح لهم السيطرة والتمكن واستغلال خيرات الوطن .

وما أشبه اليوم بالبارحة ، فمع اتساع دائرة الاتصال بين الشعوب من خلال الوسائل المتعددة والتقنيات الحديثة يسعى أعداؤنا جاهدون إلى بث سمومهم عبر الفضائيات التي اقتحمت علينا بيوتنا من كل صوب وحدب ، وهي تسعى – وفق مخطط مرسوم– إلى هدم قيم وأخلاق شبابنا بما تبث من برامج وأفلام إباحية ، ومطبوعات كل هدفها زعزعة عقيدة الشباب أو فصله عن دينه وقيمه .

وإذا كان هناك من انقاد إليهم ، وسار في دربهم ، فهناك شباب ملتزم متمسك بعقيدته ، نسأل الله لهم الثبات والقوة في مواجهة هذا الإعصار ، ونسأل الله أن يهيىء لنا من أمرنا رشداً وأن يلهم الشباب الخير والصواب والالتزام بالتربية السليمة والقيم الخلقية الحميدة .

الرسول - صلى الله عليه وسلم -
القدوة في التربية

لنا في رسولنا الأعظم الأسوة الحسنة ، فقد كانت حياته- ﷺ - مدرسة تعلم فيها الصحابة رضوان الله عليهم وسار على منهجها المحيطون به ولا عجب في ذلك فهو المبلغ عن ربه ، وهو القدوة الحسنة وحركاته وسكناته تطبيق عملي لمنهج القرآن ، فهو الداعية الفاهم لدعوته ، والمربي الذي أوتي كل صفات التربية ، فوصل أصحابه بالله ، ووصلهم بالقرآن وهذب سلوكهم وأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والرشاد . وجعل للتربية مراكز ومدارس :

١- جعل من دار الأرقم مكاناً للتربية وتدارس آيات الله الكريمات وغرس المفاهيم والقيم التربوية الصالحة التي تسمو بالفرد .

٢- واتخذ- ﷺ - من مسجده مركزاً لدعوته يؤمهم فيه للصلاة ، ويتلو عليهم ما نزل من محكم الآيات ، ويعقد فيه مجالس العلم والمدارسة ، ويقابل وفود القبائل .

" ونجحت تربيته نجاحاً ليس له مثيل في تاريخ البشرية ، ووصل بمجتمع المدينة في واقع الحياة غاية من الرفعة والسمو لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون في الأماني والخيال ، ودل نجاحه على ما تستطيع التربية – وفق منهج القرآن – من تغيير للأنفس وسمو بالمجتمع ورفعة بالبشرية إلى أسمى الآفاق "[1]

يتعلق الناس بالدعاة والمصلحين وأصحاب السير الحسنة ويزداد التعلق بهم فيأتمرون بأمرهم ، وينفذون مطالبهم ، فما سبب ذلك ؟ . . . هذا راجع في حقيقة الأمر إلى قناعة المرء ويقينه إذ لو قلت لإنسان ما هذا ماء بارد ربما يصدقك القول وربما يكذبه ، لأنه لم يصل إلى مرتبة اليقين ، فإذا تحسس الماء أو شربه ووجده بارداً اقتنع ووصل إلى اليقين ، فإذا ما التمس الناس في المصلحين

١- منهج القرآن في التربية , محمد رشيد , مؤسسة الرسالة ص ١٢ .

القدوة وجادة السلوك والصواب مرات ومرات ، وصل بهم الأمر إلى اليقين المطلق فيصيرو طوع هؤلاء المصلحين والدعاة .

فما ظنك بمحمد- ﷺ - ، وما عهد الناس عليه إلا الصدق ، وما لمسوا منه غير الأمانة ، حتى أسموه الصادق الأمين ، وقد رأوا من سيرته الآية تلو الآية والموقف تلو اللآخر فيزيدهم يقينا إلى يقين ، حتى غدا النبى- ﷺ - بالنسبة لهم المثال الكامل في القول والفعل والتحرك والسكون والنوم واليقظة ، وفي كل حال .

وليس بغريب إذن أن يأمر فيطاع ، ويشير فتلبى إشارته . . تأثير يصل إلى أغوار النفس ويشمل أبعاد الروح ، وجماع العقل كله ، يؤكد هذا ما نورده من مواقف تبرز أثر هذه الشخصية وتأثيرها فيمن حوله .

ففى تحريم الخمر مثلاً ، وكان العرب يهيمون بها ويعشقونها ويتغزلون فيها ، ولكن ما أن نزلت آية تحريمها حتى أقلع عنها الناس وهجروها إلى الأبد . عن أبى بريدة عن أبيه قال : " بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر إذ قمت حتى آتي رسول الله - ﷺ - فأسلمّ أصحابي فقرأت الآية عليهم إلى قوله ﴿....فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩١] . قال : وبعض القوم شربته في يده شرب بعضاً وبقى في الإناء ، فأراقوا ما في كؤوسهم . ثم صبوا ما في باطيتهم وقالوا : انتهينا ربنا ، انتهينا ربنا " [١]

أية طاعة بعد ذلك ؟ وأية قناعة وأية تلبية ؟ يصدر الأمر من السماء فيبلغه النبى الخاتم- ﷺ - فينفذه المسلمون دونما نقاش أو جدال ، لأنهم يثقون في المبلغ عن ربه بعد أن رأوا من آيات صدقه ما يفوق الخيال والاحتمال .

* * * * *

١- رواه ابن جرير بسنده عن (تفسير ابن كثير) .

وتبرز التربية والدرس الخلقي واضحاً جلياً في قصة الغامدية :-" جاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني ، فردّها ؛ فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ فوالله إني لحبلى . . . قال فاذهبي حتى تلدي . قال : فلما ولدت أتته بالصبيّ في خرقة وقالت هذا قد ولدته ، قال : فاذهبي فأرضعيه حتى تطعميه ، فلما فطمته أتته بالصبيّ في يده كسرة خبز، فقالت : هذا يا نبيّ الله قد فطمته وقد أكل الطعام .

فدفع الصبيّ إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجهه فسبَّها ، فسمع نبيّ الله -ﷺ- سبه إياها فقال : مهلاً يا خالد ، فوالذي نفسي بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت " [١]

دروس في التربية نتعلمها منك يا معلم البشرية :-

- الحرص على تنفيذ حدود الله فلا شفاعة ولا محاباة في إقامة العقوبة بعد أن أقرت الغامدية واعترفت بفعلتها .
- عدم التسرع في إصدار الأحكام ، وترك الفرصة للمذنب كي يراجع نفسه ، فقد ترك لها الفرصة حتى وضعت ، وأمهلها حتى كبر وليدها .
- احترام الإنسان وتقديره حتى ولو كان مذنبا ، فقد غضب- صلوات الله عليه-من خالد عندما سبها (وهي المذنبة) .
- ثم تقديره للمسلم واحترام الميت ، حيث صلى عليها بعد موتها ياله من معلم رائع !! وياله من دين قيم !!

١- رواه مسلم في كتاب الحدود .

ثم انظر إلى عظمة التربية في قضائه وفصله بين المتخاصمين وكيف يخاطب الضمير البشري ليفيقه من غفوته ويوقظه من سباته : " عن أم سلمه - رضي الله عنها - قالت :

جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مواريث بينهما قد درست[1] ، ليس عندهما بينة[2] : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

" إنكم تختصمون إليّ ، وإنما أنا بشر ، لعل بعضكم أن يكون ألحن[3] بحجته من بعض ، وإنما أقضى بينكم بما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار ، يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة .

فبكى الرجلان وقال كل منهما : حقي لأخي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما إذ قلتما فاذهبا فاقتسما ، ثم استهما[4] ثم ليحلل كل منكما صاحبه[5] .

حتى في القضاء يضع لنا أستاذ البشرية ومعلمها الأول مبادىء تربوية تكفل للقضاء نزاهته :-

- البصر بحقيقة القضية وأبعادها .
- الرجوع إلى الضمير الحي الخالص ، والنفس البشرية وما فيها من صلاح وخوف من الله - عزوجل - والتذكير بعاقبة الظلم .
- الحرص على الأخوة والإنسانية بين الناس .

ثم انظر إلى رحمته - صلى الله عليه وسلم - بالإنسان ، وحرصه على إنسانيته وكرامته ، وكان يعلمها الصحابة في كل وقت وفي أية مناسبة :

١- درست : قدمت وانتهت .
٢- بيّنة : دليل أو شهود .
٣- ألحن : أظهر .
٤- استهما : اقترعا .
٥- رواه الإمام أحمد .

يقول ابن مسعود :

" كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي : اعلم يا أبا مسعود " فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا مني إذا هو رسول الله - ﷺ - ، وإذا هو يقول :

" اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام " .

فسقط السوط من يدي من هيبته ، وقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار "

ومن عجيب أمر هذا المعلم الأول سيد الأولين والآخرين محمد- ﷺ - أن لا يكتفي بالقول النظري عن التربية ، إنما يغتنم الفرصة والمناسبة العملية ، ليطابق القول بالعمل ، وتلك قمة العظمة .

حتى في كلامه وسلوكه يقطر رحمة ويفيض حناناً ، لأنها رحمة من عند خالق الأرض والسماء :

" فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك "

ولأنه - ﷺ - لا ينطق عن الهوى ، فقد جاء كلامه ومنطقه موافقاً أفعاله وتحركاته ، ولم يدعه ذلك للتعالي والتفاخر كما يعتري بعض المصلحين والدعاة حين ينقاد الناس لهم ، فيحيطون أنفسهم بهالة من الأبهة والفخامة " ولقد ابتدع رجال الدين في أوروبا كثيراً من الأساطير والألغاز ، وأحاطوا العقيدة السمحة بكثير من الغموض والأسرار حتى يكون لهم على نفوس الناس سلطان ويكون لهم في الحياة عمل . يحلون الرموز ويكشفون عن الأسرار ، فلا يتوب مذنب ولا يصلي عابد ولا يدعو إنسان أو يتصل بخالقه أو يفارق الدنيا إلا على يد كاهن أو قديس .

وبدأ في عهد النهضة كثير من العلماء يتحررون من أسر رجال الدين ، وأطلقوا لعقولهم العنان فكان الصدام بين الدين والعلم ذهب ضحيته كثير من العلماء والمفكرين ، وانتهى بتحرير الفكر والخروج عن الكنيسة والدين "(1)

" وكانت النبوة في أذهان الناس مختلطة بكثير من الأوهام والأساطير والخرافات ، وخرج أهل الكتاب بأنبيائهم عن طبيعتهم البشرية ، وضلت البشرية طويلاً بخلطها بين مقام الرسالة ومقام الألوهية ، فنشأت أساطير النبوة لله .. وأحيطت العقيدة بالغموض والألغاز والأحاجى ، فقضى القرآن على كل هذه الأباطيل وأكد بشرية الرسول- ﷺ - الكاملة ، فهو لا يعلم الغيب ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولاضرا إلا ما شاء الله .(2)

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنعام:٥٠]

وإذا كانت عظمة النبى في بشريته ، وعبقريته في أميته فقد ألح القرآن على بشرية النبى ، وقال :-عليه الصلاة والسلام- وردد كثيراً للصحابة " إنما أنا بشر"

ويطلب منه القرآن الكريم أن يعلن للناس ذلك :

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٨]

ويقول-عزوجل- :

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠]

١- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٢٨ .
٢- مهج القرآن في التربية محمد شديد ص ١٣٢ .

وفي طول القرآن وعرضه آيات بينات تثبت للناس بشرية المصطفى-عليه الصلاة والسلام - ، وأنه منهم خلق من لحم ودم ، وكان ذلك مما أكد دعوته ، وقوى حجته وجعله الأقرب والأمكن في قلوب أتباعه ، ومن الآيات التي دلت على بشرية النبى المصطفى- ﷺ -:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١]

وقوله -عز وجل-:-

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ...﴾ [الإسراء:١]

وقد سار على نهج المصطفى- ﷺ - في التربية الخلفاء الراشدون – رضوان الله عليهم أجمعين ، بعد أن عرفوا منهجه التربوىّ واستوعبوا قواعده ، فسارت الدولة الإسلامية في دربها الصحيح رقياً وصعوداً لتسود العالم كله وتكون شمساً ينير شعاعها الوهاج هذا الكون الذي غيب جماله ظلام الكفر والجهل .

فهذا أبو بكر الصديق يلقن المجاهدين في سبيل الله أثمن دروس التربوية وهو يوصيهم بما أوصاهم به النبى من قبل " لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . .

- لا تغلوا : لا تخونوا .
- لاتمثلوا : لاتشوهوا جثث القتلى .
- لا تعقروا : لا تقطعوا .
- الصوامع : الأديرة وأماكن العبادة .

وكانت خلافة الصديق امتداداً للمعصوم- ﷺ -فترسم خطاه في كل حركاته وسكناته حتى لنقول عنه إنه متبع وليس بمبتدع ، اتبع المنهج التربوى النبوى ، حتى في محاربة المرتدين لأنهم منعوا الزكاة التي كانت تؤدي في حياة النبى- ﷺ -. ولم يكن ما فعله الصديق بدعاً ، فهو الرفيق والصديق والصاحب في الهجرة .

آمن بالنبى - ﷺ - حين انفض الناس عنه وصدقه في حادث الإسراء والمعراج ، حين كذبه المشركين وقال لهم حين رووا له ما قال النبى عن رحلة الإسراء إن قال لكم ذلك فهو صادق ، حتى ولو قال ما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في أمر السماء أفلا أصدقه في حادث الإسراء والمعراج ؟؟.

أعطانا الصديق – رضى الله عنه – دروساً تربوية في أصول الصداقة وواجباتها قبل أن يلي أمر الناس (عزز النبى- ﷺ - بالكلمة) وعزز جانبه بمساعدته بما له ثم أعزه بالسير على نهجه في التربية بعد وفاته . . فكان بحق نعم الرفيق ونعم الصديق ، واستحق تكريم المولى-عز وجل-بالإشارة إليه في قوله تعالى،-

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة:٤٠]

كما كان لعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين منهجه المميز في التربية نهلاً من ينبوع المعلم الأول حضرة النبى- ﷺ -" فقد كان مربياً بطبعه

وفطرته ، فكان أستاذ التربية في المدينة ، يربي في المسجد وفي السوق ، وكان على كل حالاته مربياً "[1]

" فقد جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه " كما أخبر بذلك سيد المرسلين محمد - ﷺ - .

كان -رضوان الله عليه - شديداً في معاملة الناس (شدة في أخذ الحق من قويهم لضعيفهم) وكان عطوفاً عليهم غاية العطف كعطف الأم على وليدها .. عطفاً جعله يضمد جراح (جدى) يجفف له دمه الذي ينزف منه ليخفف عنه آلامه وهو يقول له : " والله إنى أخاف أن أسأل عنك يوم القيامة "

أسلوب فريد في التربية يجمع بين الشدة واللين .. حتى لو أغلظ في معاملة امرىء سرعان ما يذهب إليه معتذراً .. ليطيب خاطره .

" مر في سوق المدينة فرأى إياس بن سلمة معترضاً في طريق ضيق ، مخفقه بالدرة (العصا) وقال له : أمط (أفسح) عن الطريق يا ابن سلمة ، ثم دار الحول ولقيه في السوق فسأله : أأردت الحج هذا العام ؟ .. قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأخذ بيده حتى دخل البيت وأعطاه ستمائة درهم وقال له : يا ابن سلمة استعن بهذه ، واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك بها عام أول ، قال إياس : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها ، فقال عمر : أنا والله ما نسيتها " ومن عجيب أسلوبه الرائع في التربية أنه كان يحاسب نفسه ، ويحاسب أهله حساباً عسيراً ، حتى أنه كان إذا نهى عن شيء جمع أهله وقال لهم : إنى قد نهيت الناس عن كذا وكذا وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا ، وإن هبتم هابوا ، وإنى والله لا أوتي برجل منكم وقع فيما نهيت عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه منى ، فمن شاء منكم فليتقدم ، ومن شاء فليتأخر "[2]

١- منهج القرآن في التربية ص ٣٧ , ٣٨ .
٢- ابن الجوزى وابن سعد .

وليس أدل على هذا العدل الاجتماعى وأسلوب المساواة وعدم المحاباة في التربية من أمره عمرو بن العاص بمعاقبة ابنه عندما أهان المصرى في السباق الذي كان بينهما هذا النمط التربوي النادر هو ما يحتاج إليه الحكام في سياسة ملكهم ، وهو نمط يحبب الناس . ويجعلهم يألفون الحاكم ويتفانون في مساعدته في أمر ملكه كما يعين على نشر الأمن والطمأنينة ، فيستقر الملك وتستقيم الحياة ويعم الرخاء .

جوانب التربية
في
القرآن الكريم

وصف رب العزة جل شأنه منهج في التربية بأنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ... ﴾ [فُصِّلَت:٤٢] وأنه منهج يعرف أبعاد النفس البشرية ، ويدرك أعماقها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [المُلك:١٤] يعلم خفاياها وما يلم بها من أدران ، وما يعلق بها شوائب ، ويعلم حدودها من فرد لآخر ، لذلك يقوم هذا المنهج القرآني على ردها إلى فطرتها السليمة ، وتخليصها مما يعلق بها من أوضار الوراثة والبيئة ، وما يلحق بها من خرافات العرف والتقليد ، ويردها إلى خالقها عن طريق المعرفة الحقة والدليل الواضح والحجج الدافعة ، وهو منهج يعلم ما تحمله من فجور وتقوى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس:٧:٨]

والنفس البشرية في حالات ضعفها تشعر باليأس ، لذلك يدعوها المولى – عز وجل– إلى اللجوء إليه والاستعانه به ، وعندما تقع النفس في المحرمات وترتكب المحظورات يدعوها إلى عدم اليأس من رحمة الله :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠]

ويعرف ما يكدر صفوها من بغي وظلم ، وبخل وشح وإسراف وتقتير ، وخيانة وحسد وسوء ظن ، لذلك يحذرها من هذا كله في مواضع كثيرة كالتحذير في قوله :-

﴿ ....وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان:٣١]

وقوله تعالى:-

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ .... ﴾ [الأعراف:٣٣]

وقوله تعالى:-

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ... ﴾ [آل عمران:١٨٠]

وقوله:-

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان:٦٧]

وقوله:-

﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال:٥٨]

وقوله:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ... ﴾ [الحجرات:١٢]

كل هذا ليرقى بالنفس ويسمو بها ويجعلها في مقام مرتفع.

ومن جوانب العظمة في الأسلوب التربوي القرآني أنه يراعي الفطرة، ويقدر نوازع النفس البشرية، لذلك حين يربي أو يعالج يسير وفق متطلبات البشر، حتى يقر ما يريد، ويعالج ما يريد معالجته ودليل ذلك أن الإنسان حين انحرف عن الطريق السوي وراح يعبد الأصنام، وقوى الطبيعة أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليأخذ بيد الناس إلى الرشاد.

وقد كان سيدنا إبراهيم -عليه السلام- نقي الفطرة سليم النظر راجح العقل - برغم نشأته بين قوم يعبدون الأصنام - فراح يتأمل في الكون باحثاً عن ربه خالق كل ما حوله من موجودات وكائنات قبل بعثته، حتى اهتدى إليه وعرف مكانه، واتخذه القرآن مثلاً يحتذى لأصحاب الفطر السليمة والقلوب الذكية، يقول القرآن:-

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام:٧٥:٧٩]



رعاية الإنسان

رعايته جنيناً

تتجلى جوانب التربية الإسلامية للإنسان في كل مراحل عمره فتعهده بالرعاية وهو جنين قبل ولادته ، فهذا النبى -ﷺ- يأمر بحسن اختيار الزوجة حرصاً على سلامة النسل وتكوين أسرة قوية قادرة على خدمة الوطن ، فقال-عليه السلام-:" تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " وقوله :" اغتربوا لاتضووا "

ورعايته طفلاًوصبياً ،-

حيث أوصى النبي-ﷺ- بتسمية المولود باسم حَسَن يشرفه بين الناس ، وكان-عليه السلام- يفضل التسمية بعبد الله وعبد الرحمن :

" عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله-ﷺ-،إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن " (١)

ويستحب التسمية بأسماء الأنبياء لما فيهم من طيب الصفات وكريم الأخلاق وصالح الأعمال ، وكذلك التسمية بأسماء الصالحين " وتكره التسمية بما فيه تنفير للقلوب لمعانيها أو ألفاظها . . لما تثيره من سخرية وإحراج لأصحابها . . ومنها : حرب ، مرة ، خنجر، فاضح ، حنس ، قردان ، كلب ، كليب .

قال أبو داود رحمه الله تعالى : " وغير النبي-ﷺ- اسم العاص وعزيز عتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاماً سَلْماً وسمى المضطجع : المنبعث ، وأرضا تسمى عفرة سماها : خضرة ، وشِعْب الضلالة سماه شِعْب الهدى " (٢)

كما حرص القرآن الكريم على صحة الطفل وقوة بنيانه بإرضاعه الفترة اللازمة لاكتمال نموه ، قال تعالى :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ .... ﴾ [البقرة:٢٣٣]

١- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب (٢١٣٢) .
٢- سنن أبي داود (٢٤٣/٥) .

وقد ثبت علمياً أن الرضاع لمدة عامين مهم جداً إذ يساعد على نمو الطفل ووقايته من الأمراض وحمايته من الجراثيم وما يشوه أعضاءه.

ولأن الطفل مولود على الفطرة ، فقد أوصى القرآن بتأديب الصبي وتهذيب خلقه ، وتعويده حسن الصفات ومكارم الأخلاق :

" اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه . . وصيانته بأن يؤدبه أبوه ، ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء . . " وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو أكبر منه سناً ويخوف من السرقة وأكل الحرام ، ومن الخيانة ، والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان " [1]

وتبدأ تربية الطفل بتعليمه القرآن الكريم وترغيب الطفل فيه ، فعن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله- ﷺ -:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه " [2]

وعن عائشة- رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله- ﷺ - :" الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو شاق عليه فله أجران " [3]

تعليم الصبي الآداب الإسلامية :-

كان النبي- ﷺ - القدوة في تعليم المسلمين ، وكان حريصاً على تلقينها المسلمين ليكونوا قدوة لأولادهم ، فقد أوصى بالتسمية قبل البدء في الطعام مع الأكل باليمين :

" قال- ﷺ -: يا غلام سم الله وكل بيمينك " [4]

كما أوصى بحمد الله بعد الفراغ من الطعام :

١- إحياء علوم الدين للغزالي (٣:٦٢) بتصرف .
٢- رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (٤٩٣٧) .
٣- رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (٤٩٣٧) .
٤- رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأطعمة (١٠٦٤) .

" قال - ﷺ -إذا فرغ من طعامه قال : " اللهم أطعمت وأسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت "(١)

كما أوصى بتعليم الطفل الاستئذان في داخل المنزل في الأوقات الثلاثة التي يخلد فيها الإنسان إلى الراحة ويتخفف من ثيابه ، قال تعالى:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النور:٥٨:٥٩]

وكذلك الاستئذان مع السلام إذا دخل بيتاً أو مكاناً غير بيته .

قال تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا....ۚ ﴾ [النور:٢٧]

ومن آداب المجلس التي حرص معلم البشرية على تعليمها صحابته:-

- أن يلقى السلام عند الدخول .
- أن يجلس حيث ينتهي به المجلس .
- ألا يقيم أحداً من مكانه ليجلس بدلاً منه .
- أن يفسح في المجلس للقادم .
- ألا يتكلم إلا إذا طلب منه .
- أن يتكلم بصوت واضح مسموع .

١- صحيح رواه أحمد (٤/ ٦٢) .

- أن يختم المجلس بالدعاء والاستغفار.
- عن جابر بن سمرة قال : " كنا إذا أتينا النبي - ﷺ - جلس أحدنا حيث ينتهي "(١)
- وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ -: " لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا " (٢)
- عن أبي برزة الأسلمي قال : كان رسول الله - ﷺ - يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس : " سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك " فقال رجل يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى ، فقال : كفارة لما يكون في المجلس " (٣)

ولو تأملنا هذه الآداب الطيبة في المجلس لوجدنا تحفظ للمكان هدوءه واستقراره ، وتحفظ للحاضرين مكانتهم فيتم المراد من المجلس على خير وجه من إنصات وأدب في الحديث ومراعاة لأقدار الموجودين ، ثم الانصراف في سلام واطمئنان كما بدأ المجلس بسلام واطمئنان .

التربية القرآنية والرعاية في مرحلة الشباب ،

انظر إلى جوانب التربية وأصولها في هذه المرحلة المهمة من العمر تجدها متعددة :-

- فقد حرص على السلامة البدنية والقوة للشاب،يقول المعصوم - ﷺ -:

" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ".

وهو في هذا الإطار يحث على ممارسة الرياضة لمالها من آثار بالغه في المحافظة على سلامة البدن وقوته ، وقد كان النبي - ﷺ - يشجع الشباب عليها

١- صحيح رواه أبو داود (٤٨٢٥) .
٢- رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان (٦٢٦٩) .
٣- حسن رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب (٤٨٥٩) .

ويحثهم على الرمي ، كما كان عمر بن الخطاب يحث على تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل .

- حث الشباب على تلقي العلم وإعمال العقل ، وذلك النهج القرآني حرصاً على أهمية الإنسان ليكون خليفة الله في الأرض ، يعمرها ويرقى بها ، كما يرفع من قيمة دور العلم والمعاهد وينزلها منزله المساجد وليبرز قيمة العلم ومكانته ، يروي قصة بني إسرائيل الذين اعترضوا على نزول طالوت ملكاً عليهم من عند الله معللين لهذا الاعتراض بأنه لم يؤت سعة من المال ، فنزل الهدي القرآني يصحح لهم فساد ما يعتقدون مبيناً عدم فائدة المال الذي لا يرفع من قيمة الإنسان .

يقول تعالى:-

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾ [البقرة:٢٤٧]

وهذا داود وسليمان يشكران ربهما أن من عليهما بنعمة العلم :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥) ﴾ [النمل:١٥]

وبين منزلة العلماء وأنهم أكثر عباد الله خشية وتدبراً لما يرون من آيات الله وقدرته في الكون :

﴿ ....إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟.... ﴾ [فاطر:٢٨]

ويقارن بين العالم والجاهل ، وأن الحياة بغير علم واعتقاد موت وهلاك ، يقول تعالى:-

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [فاطر:١٩:٢٢]

وفي إطار التربية الإسلامية السليمة يحرص على عفة الشاب وحسن سيرته في الحياة فيدعوه إلى الزواج وتكون الأسرة السليمة :

قال- ﷺ -: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء "

وفي قصة يوسف- عليه السلام - المثال والقدوة في طهارة النفس والعفة ومراقبة الله سبحانه وتعالى ، والعمل بمنهجه السليم ، حيث نلمح في هذه القصة المباركة كثيراً من الدروس والعبر منها :-

- التوكل على الله ، والإيمان بأنه لن ينال الإنسان إلا ما هو مقدر له .
- أن الله ينصر الحق دائماً .
- مراقبة الله-عزوجل- في السر والعلن .
- اجتناب ما نهى الله عنه والبعد عن المحرمات .
- الحرص على عفة النفس وطهارة الروح .
- أن الله يحفظ أنبياءه ويعصمهم من الوقوع في الخطأ.

ولم يكن التوجه القرآني خاصاً بالشاب دون الفتاة ، فقط نزل شاملاً يخاطب الجميع ذكراً أو أنثى .

قـــال تعـــالى:- ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [فاطر: ٣٠:٣١]

وكما أوصى الشاب بالعفة وطهارة النفس والابتعاد عن المحرمات كذلك أمر الفتاة بالاحتشام في ثيابها ، وأن تحرص على إخفاء مفاتنها ، وأن تجعل على زينتها لزوجها ، وأن تعتدل في مشيتها ، وتحرص على الاحتشام في مظرها وفي قولها ، وأن تلقن ذلك لأبنائها وبناتها عندما تصير أما وزوجة .

والمنهج التربوي القرآني بذلك يقرر أهمية الفتاة وعظمة ما تقوم به من دور في خدمة الأسرة والمجتمع المسلم الصالح .

أسلوب القرآن

في

التربية

كـان المنهج القرآني في التربيـة فريداً في نوعـه رائعـاً في نتائجـه فقـد راعى الفطـرة الإنسـانية الـتي فطـر الله النـاس عليهـا ، كمـا راعـى الـنفس البشـرية ومـا تنطوى عليه وما يتنازعها من خير وشر ، فسلك عدة مسـالك للولـوج إلى تربيـة قويـة تأخذ بناصية الإنسان وتكون منه في النهاية مواطناً صالحاً قادراً على خدمة نفسه وأهله ومجتمعه .

ومن هذه المسالك :-

١- النصح والإرشاد والتوجيه المباشر :-

وذلك واضح ملموس في الأمر بأداء العبادات :-

- **إقامة الصلاة .**
- **إيتـاء الزكـاة .**
- صوم رمضان .
- حج البيت

وملموس أيضاً في الأمر بما فيه صلاح الفرد والمجتمع .

- طاعة الوالدين .
- التعاون على البر والتقوى .
- الإنفاق في سبيل الله .
- الدعوة إلى الجهاد .
- رعاية الصديق وحقوق الجار.
- إفشاء السلام والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وآيات القرآن الكريم شاهدة على ذلك ، وكثير منها يستخدم صيغة الأمر: "...وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ... " [المزمل:٢٠]

" ...وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ..." [الحج:٧٨]

" ... ٱرْكَعُوا۟ ..." [المرسلات:٤٨]

" ...ٱسْجُدُوا۟..."[البقرة:٣٤]

" ... ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ..." [الحج:٧٧]

" ... وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ ..." [الحديد:٧]

" ... وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ..." [الحج:٧٨]

"... وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ..."[المائدة:٢]

"...ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ..." [التوبة:١٠٥]

كما ستخدم القرآن طريقة العَرض والتخصيص والترغيب:

- " ... أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ..."[النور:٢٢]
- " ... وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ..."[التوبة:٧١]
- " ... أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ..." [هود:١٨]
- " ... لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ..." [النساء:١٤٨]
- " ... أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ..."[محمد:٢٤]

ويستخدم - أيضاً- أسلوب الاستفهام للتنفير من سيء الصفات والأعمال:-

- " ... قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ..."[الأعراف:٣٢]
- " ... فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ..." [آل عمران:٦٦]
- " ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ..." [الزُّمَر:٩]

وما أحوج المربي أن يلجأ إلى هذه الأساليب عند غرس المفاهيم وتهذيب النفوس ففيها كلها :

الإرشاد والترغيب والترهيب والحث والتنفير والتوجيه ، وهي أمور تتنازع النفس البشرية والمربي الماهر هو الذي يسبر أغوار النفس ويدرك بألمعتيه متى يأمر ومتى يرغب ومتى يحث ومتى يستخدم الاستفهام .

لقد سبق القرآن العظيم بأسلوبه الرائع ما قرره المصلحون والتربويون ، وما وضعوه من نظريات في هذا المجال .

٢- التذكير بأحوال الأمم السابقة:-

لكي يقرر القرآن أمراً يمس حياة الإنسان ، يعود به إلى الوراء ليذكر بما كانت عليه الأمم السابقة ليبرز مغبة العمل وما يقوم به الإنسان .

* ففي الحديث عن العناد والإصرار على الإفساد في الأرض يذكر القرآن بما آل إليه حال قوم عاد وثمود الذين أشاعوا الفساد وما فعله الله بهم :-

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ
﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر:٦:١٤]

* ويذكر القرآن بقوم نوح وكيف عاندوا نبيهم ولم يسمعوا النصح ولم يستجيبوا له حتى دعا عليهم بالهلاك والدمار.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي
كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا
وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح:١:٧]

وظلوا في عنادهم وعصيانهم حتى كانت دعوة سيدنا نوح ، حتى أغرقوا وكان مصيرهم النار :

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح:٢٥:٢٧]

وفي القرآن الكريم تذكير كثير بأحوال الأمم السابقة يتناولها كوسيلة للتربية يضع بها الدليل الملموس المقنع لعاقبة من يخالف ويحيد عن الصواب ، وهذا ما تلجأ إليه نظريات التربويين الحديثة حين يقارن المربي للمتعلم بين نمطين أحدهما حسن والآخر سيء ليجعله يتبين عاقبة السوء ومغبة الابتعاد عن الحق .

وهذا أسلوب في التربية آكد وأقوى في ترسيخ السلوك الحسن والحث على اتباعه والسير في فلكه ، لأن الدليل المادي الملموس هو أقوى الأدلة وأكثرها ثباتاً في النفس .

٣- ضرب الأمثلة :

لتقريب المعنى إلى الذهن وتثبيته :-

- فحين دعا القرآن إلى الكلمة الطيبة ضرب مثلاً بشجرة ثمرها ناضج وأكلها مستساغ ومثل للكلمة الخبيثة بشجرها خبيثة الثمر :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم:٢٤:٢٦]

- ولبيان فساد عمل الكافرين وعدم جدوى ما يفعلون وأن أعمالهم هباء لا خير فيه ولا أثر لها فيما حولها شبهها برماد هبت عليه الريح في يوم عاصف فبعثرته هنا وهناك :

يقول تعالى:-

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٨ ﴾ [إبراهيم:١٨]

ثم انظر إلى التربية القرآنية حين تصور الإنفاق في سبيل هذا التصور الطيب بالحبة التي أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة (والرقم ٧ هنا للدلالة على الكثرة) ، يقول المولى -عز وجل - :-

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾ [البقرة:٢٦١]

- وهو إذ يصور الدنيا فإنما يصورها بالماء الذي نزل على الأرض فأنبت النبات ليأكل منه الناس والدواب حتى تكتمل زينة الأرض وتبلغ الذروة يصدر أمر الله – عزوجل- فيجعلها حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس ، يقول تعالى:-

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤ ﴾ [يونس:٢٤]

- وحين يبين عاقبة البطر وعدم شكر النعمة والكفران يضرب لنا مثلاً بقرية كانت تعيش في أمان ورغد فلم تحمد الله ولم تشكره على نعمائه ، فأذاقها الله الجوع والخوف جزاء ما كان يصنع أهلها .

يقول تعالى :-

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١١٢ ﴾ [النحل:١١٢]

وفي القرآن العظيم كثير من هذه الأمثلة التي تقرب المعنى إلى الذهن ، وتجعل الشيء المعنوي في صورة ملموسة حتى يسهل الفهم وتدركه الأذهان .

والقرآن إذ يتخذ من المثل والتصوير وسيلة للتربية فلأنه نزل يخاطب كل مستويات البشر ، وما أروعه من خطاب يراعي الفروق الفردية ومدى التفاوت بين الناس في درجة الفهم والإدراك .

٤- القصص القرآني وما فيه من عظة وعبرة :-

من الوسائل الطيبة التي اعتمد عليها المنهج القرآني في التربية ، وقد أخبرنا رب الأرض والسماء أنه أحسن القصص ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ .... ﴾ [يوسف:٣]، كما يبين الغاية من هذا القصص وأنه تنبيه للغافل وتوعية له ﴿ ....وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف:٣]

وقد سبق أن تعرضنا لقصة سيدنا يوسف وما تحمل من عظات وعبر يهتدي بها الشباب في حياتهم ويقبسون منها ما يستطيعون من عظات وهدى ينير لهم حياتهم .

كما أفاضت كتب التفسير في بيان عظمة هذه القصة في أسلوبها ومحكم روايتها وما تحمل من قيم تربوية نبيلة يقتدى بها الإنسان ويتخذ منها المثل الذي يأخذ بيده إلى حياة طيبة .

وفي قصة أهل الكهف التي يرويها القرآن خير هدى للشباب الباحث عن الحقيقة ، وكيف يثور على الباطل ، وكيف يقاومه موقناً أن الله ناصره ومؤيده .

حيث يصورهم القرآن أنهم شباب أشداء آمنوا بالله حق إيمانه وزادهم الله هدى من عنده ، وأنهم قالوا ربنا رب السماوات ولن يتخذوا منه ملاذاً ومكثوا فيه حتى ألقى عليهم النوم فناموا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ، ثم

بعثهم الله من رقادهم هذا الطويل منقذا لهم ممن يتربص بهم ، وليكونوا عبرة لمن يأتي بعدهم .

يقول -عزوجل- :

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾ [الكهف:١٤]

وتصور الآيات حالهم في الكهف :

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) ﴾ [الكهف:١٨]

فقد لجأوا إلى الكهف حتى لا يقعوا في يد عدو يريد الفتك بهم والقضاء عليهم :

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ [الكهف:٢٠]

وتبين الآيات مقدار مالبثوا في كهفهم من وقت فتقول :

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) ﴾ [الكهف:٢٥]

كما تبين الآيات الهدف من بعث هؤلاء الفتية :-

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ .... ﴾ [الكهف:٢١]

وفي قصة سيدنا موسى وسيرته التي تناولها القرآن في كثير من السور عظات وعبر وهدى للشاب المتوكل على الله .

فقد رعاه طفلاً وأنقذه بأن جعل تربيته في دار عدوه بعد أن أخبر رب العزة - أنه حافظه وراده إلى أمه وجاعله من المرسلين ويقول تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص:٧:٨]

ولما كبر موسى واشتد عوده آتاه الله حكماً وعلما ، حتى إذا دخل المدينة ووجد فيها رجلين يقتتلان ، وقام بمساعدة من يستغيث به من شيعته فوكزه موسى فقضى عليه . عندئذ ترك سيدنا موسى المدينة ولجأ إلى أرض مدين وهناك التقى بابنتي سيدنا شعيب وتزوج واحدة منهما بعد أن قضى في خدمة شعيب ثماني حجج ، يقول تعالى:-

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص:١٤:١٥]

ويقول القرآن :

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [القصص:١٨]

ويبين القرآن خروجه-عليه السلام- خائفاً يترقب ، حتى يصل إلى ماء مدين فيقول :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص:٢١:٢٢]

وهناك عند ماء مدين يسقى لابنتي سيدنا شعيب ويتزوج إحداهما ، لينطلق بعد ذلك إلى جانب الطور وهناك يأتيه نداء ربه أنه الله رب العالمين ،

ويمده الله بمدد من معجزاته ، ويرسل معه أخاه هارون ليكون مساعداً وعوناً له ، ويأمره بأن يذهب إلى فرعون وملأه ، يقول المولى- عزوجل- ،

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
(٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ
أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ
(٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ
ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِى
هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ
(٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ
أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (٣٥) ﴾ [القصص:٢٩:٣٥]

وفي المشهد الذي جمع بين فرعون مع سحرته وسيدنا موسى أعظم دروس تربوية يتعلمها الشاب الصالح ففيها :

- الثبات على الحق ثباتاً لا يخالطه شك .
- الثقة الكاملة في عون الله ومساندته وهو نعم العون والمدد .
- الشجاعة في مواجهة القوة الطاغية دون رهبة أو وجل ، حيث لم يفزع سيدنا موسى من سلطان فرعون وسطوته وجبروته .

ويحسم سيدنا موسى المعركة ببطلان سحر فرعون وقومه ، قال تعالى،

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ
أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس:٧٩:٨٢]

ولأن فرعون يمتلك السلطة والجبروت فقد توعد موسى ومن تبعه ، ولكن موسى يلجأ إلى القوة العظمى إلى الله- سبحانه وتعالى- يدعوه ويطلب غوثه ونصره :

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس:٨٨]

ويتمادى فرعون في طغيانه فيتبع موسى وقومه في البحر فينجي الله موسى من كيد فرعون وجنوده ، يقول المولى- عزوجل- :

﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس:٩٠:٩٢]

كم في قصة سيدنا موسى من العبر كلما تأملها الإنسان وجدنا فيها أطيب الدروس في التربية ، لذلك كأن هذا القصص كما أخبر عنه الخالق الأعظم (أحسن القصص) .

وفي قصة سيدنا إبراهيم مدد تربوي كبير ، فقد قال لأبيه – مستنكراً- هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة إن هي إلاضلال مبين ، ولم يقف عند هذا الحد بل راح يتأمل ملكوت السموات والأرض ، يقلب وجهه في السماء صوب الكواكب

والشمس والقمر حتى اهتدى إلى الخالق الأعظم الذي خلق الأرض والسماء ، يقول الله -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ
أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ
يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ
هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى
وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام:٧٤:٧٩]

ثم يكيد سيدنا إبراهيم للأصنام فيحطمها جميعاً ، إلا كبيراً لهم فلما سئل قال بل فعله كبيرهم فأسألوهم إن كانوا ينطقون .. فما كان من قوم إبراهيم إلا أن أوقدوا له ناراً عالية لإحراقه وألقوه فيها لكن ربنا الخالق جعل النار برداً وسلاماً ، وأنقذ سيدنا إبراهيم مما أعده له قومه من العذاب ، يقول -تعالى- :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ
مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٥١:٥٤]

ويقول القرآن متحدثا عن تصميم إبراهيم وعزمه على تحطيم الأصنام :

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا
لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ

﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء:٥٧:٦٤]

ويقول القرآن،-

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء:٦٨:٧٠]

ويقود سيدنا إبراهيم قومه إلى الخير، ويرزقه الله اسماعيل ، ويرفع يده بالدعاء حمداً لله طالباً منه الخير لبلده ولولده والغفران لوالديه ، يقول تعالى ،-

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٣٥:٤١]

وهنا يتجلى الدرس التربوي نلمح فيه :-

- العطف على الوالدين بالدعاء والغفران لهما .
- مقاومة الباطل والصمود في وجهه.
- سلامة الفكر وقوة الإدراك والبصيرة .
- الحرص على سلامة بلده وأمنه وخيره بالدعاء له بالخير والبركة .
- الإيمان والثقة في عون الله ونصره ومساندته .

- رعاية الله لعباده المؤمنين والوقوف إلى جانبهم.
- الباطل مهما كان قوياً مهيمناً جباراً فإنه إلى زوال.

وفي قصة قارون إنذار وبيان للعافية الوخيمة لكل من يغتر بماله وسلطانه فقد تعالى على قومه بما آتاه الله من مال وجاه وخروج على قومه مزهواً متعالياً فكان جزاؤه خسراناً وبواراً وخسف الله به وبداره الأرض، يقول تعالى:-

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ
لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
(٧٦) وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن
قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ
يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ
أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٢) ﴾ [القصص: ٧٦:٨٢]

وفي هذه القصة دروس تربوية كثيرة منها:-

- أن المال مال الله وكل ما جاء للإنسان من رزق فهو من عند الله الذي يرزق من يشاء.
- ألا يغتر الإنسان بماله فيتعالى على الناس.

- على الإنسان أن يجعل ماله في وجوه الخير وأن يستخدمه فيما ينفع نفسه ومن حوله .
- على الإنسان أن يستخدم عقله في كل أموره .
- عاقبة من يفتري بوار وخسران مبين .

وفي قصة سيدنا سليمان كثير مما يستفيد منه الإنسان من دروس تربوية وعظات.

فقد أتاه الله الملك الكبير وعلمه لغة الطير وأوتي من كل شيء وسخر له الجن يأتمرون بأمره وهاهو يتفقد الطير ولا يرى الهدهد من بين الجموع الحاضرة من ألوان الطير فيتساءل عن تغيبه حتى يأتيه مبيناً أنه يحمل أخباراً مهمة إذ وجد امرأة تحكم قومها ولها عرش عظيم وهي تدعى بلقيس ملكة اليمن ، ويطلب سيدنا سليمان ممن حوله من الجن أن يأتوا بعرشها فأحضروه . . ثم يبعث لها برسالة مع الهدهد يدعوها إلى الإيمان بالله خالق الأرض والسماء . . وتأتي إليه بلقيس وتصاب بالدهشة حين ترى عرشها فتسلم مع سليمان لله رب العالمين .

يقول -تعالى- في كتابه العزيز :-

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا
مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل:١٥:١٧]

ويقول تعالى :-

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ
﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ
يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ
ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا
كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ
أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: ٢٠: ٣٥]

ويقول القرآن:-

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن
فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى
غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا
مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ
حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٣٨: ٤٤]

وهذه القصة تعلمنا دروساً تربوية كثيرة منها :-

- أن يحمد الإنسان ربه ويشكر له ما أنعم عليه به من نعم.

- الحرص على متابعة الإنسان عمله وتفقده باستمرار وأن يتأكد القائد أو الرئيس على الواقع ما يتم في مؤسسته وإدارته ويعرف أحوال العاملين معه .
- ألا يستهين الإنسان بأي مخلوق ولايحتقر ما يقوم به العاملون من أعمال، فقد يكون العامل صغيراً لكنه ذا أهمية ويأتي بما لم يأت به الكبار، كما حدث من الهدهد وهو من أصغر الطيور لكنه جاء بأخبار عجيبة لم يأت بها من هم أكبر وأقوى منه ، وفي هذا الصدد يقول الشاعر :

لا تحقرن صغيراً في مخاصمة

إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

- أن يعرف القائد الفروق الفردية التي يتمتع بها العاملون معه وأن يوظف كل في مكانه .
- العمل على نشر دين الله وإعلاء كلمته .
- أن الله ناصر من يدعو إلى دينه ويعلي كلمته.

وهكذا يؤدي القصص القرآني- كأسلوب تربية- أهدافاً جمة بما يحمل من واقع واضح ملموس ، وحكايات واقعية تؤثر تأثيراً ملموساً في النفس البشرية وتعالج فيها أموراً من خلال الرواية والقص لتجارب وخبرات سابقة .

وما أكثر قصص القرآن . . لكننا اكتفينا بذكر نماذج من هذا القصص العظيم .

٥- التوجيه المباشر وإسداء الوصية والنصح :-

كما في وصايا لقمان وهي وصايا مباشرة تنفذ إلى القلب والعقل ، يقول تعالى :-

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
(١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ
أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن
تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩) ﴾ [لقمان:١٣:١٩]

وهذا النصح والتوجيه القرآني وما فيه من ذكر للمحرمات التي ينبغي الابتعاد عنها، يقول تعالى :-

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا
تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ
ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا
فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ [الأنعام:١٥١:١٥٣]

منهج التربية القرآني
القائم على خدمة الجماعة والمجتمع

جعل القرآن اهتمامه الأول بالإنسان الفرد وبتكوينه وحرص على تهذيبه إيماناً منه بأن الفرد هو اللبنة الأولى والأساس الذي تنبني عليه المجتمعات.

ولا يظن ظان أنه – القرآن – قصر اهتمامه بالفرد ولم يعن بالجماعة.. كلا فالجماعة في اهتماماته أليس الفرد جزءاً من الجماعة؟ وما الجماعة إلا مجموعة أفراد إن صلحوا صلح شأن المجتمع.

والمتأمل منهج القرآن وحرصه على الجماعة يجد عجباً ويجد ما يدعو للدهشة والتساؤل.

يبرز هذا الاهتمام في كل جوانب الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلاقات الجوار مع الأمم الأخرى، لأنه دين السلام، والأمان والحياةالتي تسودها المحبة ويظل أبعادها الوئام، فإذا نظرت إلى جوانب اهتمامات المنهج القرآني بالجماعة تجده مثلاً في:

١- الناحية السياسية،

فقد نظم الحياة في منظومة الجماعة، ودعا إلى ما يؤدي إلى انتظامها وحسن سيرها وقنن العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

- دعا إلى طاعة أولي الأمرفقال تعالى،

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢]

وقال عز من قائل،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ....﴾ [النساء:٥٩]

- الرجوع إلى الله وما أنزل من عنده وإلى الرسول وما أمر به عندما تظهر أمام المجتمع مشكلة من المشاكل أو أمر من الأمور - يقول تعالى-:-

﴿....فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩]

- إرساء الشورى كمبدأ تقوم عليه الحياة .

-يقول تعالى- ،-

﴿....وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ....﴾ [الشورى:٣٨]

وقد أثر عن النبي-ﷺ-أنه كان يشاور أصحابه في كل ما يهم أمر الجماعة الإسلامية وفي الأمور المصيرية التي تتوقف عليها حياتهم عملاً -بقوله تعالى-،-

﴿....وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ....﴾ [آل عمران:١٥٩]

فقد شاور أصحابه في غزوة بدر، كما شاورهم في غزوة الخندق .

الحكم بالعدل بين الناس ، وأمر الناس العمل به ،- قال تعالى-،-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة:٨]

كما أثبت -عليه الصلاة والسلام- هذا المعنى في حديثه الشريف : " الأئمة من قريش ، ولى عليكم حق عظيم ، ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثاً : إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أدجمعين "[١]

وقد أكد أبو بكر الصديق مبدأ الشورى من أول يوم ولي فيه الحكم ، حين قال في أول خطبته له إلى المسلمين :

" لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم " وكذلك كانت سيرة عمر لم يحد عن الطريق بل التزم الحق المطلق ، يساوى بين

١- الطبراني من حديث أنس .

القوى والضعيف في إقرار الحق وأخبر بذلك في قوله : " القوى فيكم ضعيف عندى والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له " .

- محاسبة الحاكم لنفسه ، وقد كان عمر أكثر الخلفاء محاسبة لنفسه ، وكان يأخذ أهله بالشدة ، فإذا أراد أن يصدر أمراً يجمعهم ويبلغهم أنه سيصدر أمراً بكذا وأنهم أول من يطبق عليهم هذا الأمر.
- العناية بأمر القضاء ، وتنزيه القاضي ووضعه في مكانه لائقة تعطيه الحق في محاسبة الناس جميعاً حتى الحاكم نفسه ودليل ذلك هذه الوقعة :" وجد على بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني ، فجاء به إلى شريح القاضى ، وقال : إنها درعي ، ولم أبع ، ولم أهب ، فسأل شريح النصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال النصراني : ما الدرع إلا درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي يسأله : يا أمير المؤمنين : هل من بينة ؟ . . فضحك علي وقال : أصاب شريح مالي من بينة .

فقضى شريح للنصراني بالدرع فأخذها ومشي إلا أنه لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء ، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه ! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال على : أما إذا أسلمت فهي لك " [1]

- وقد حدد المنهج القرآني عقوبة من يخالف الله ورسوله ويعيث في الأرض فساداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ

١- السلام العالمي والإسلام . سيد قطب .

﴿... يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

وفي ظل المنهج التربوي القرآني سادت الديمقراطية ، وحرية الرأي ما دام في مصلحة الجماعة ، وقد روت كتب السيرة ومصادر التاريخ مراجعة الناس لأولي الأمر حتى النساء كن يراجعن الخلفاء روت المصادر أن أمرآة راجعت عمر بن الخطاب في رأيه ، فلما وجده صواباً اقتنع وقال قولته المشهورة " أصابت امرأة وأخطأ عمر ".

٢- الناحية الاجتماعية :-

كما نظم القرآن حياة الجماعة السياسية أو وضع لها الدستور الذي ينبغي أن تسير عليه ، فقد نظم – أيضاً – أحوال معيشتها وحياتها الاجتماعية ، وقنن بالعلاقات معيشتها وحياتها الاجتماعية ، وقنن العلاقات بين طوائف الناس المختلفة ، وبين فئات المجتمع ، ووضع الأخر المناسب للتفاعل والتعامل بينهم فقام بما يلي :

- دعا إلى التعاون بين الناس جميعا في كل مناحي الحياة بما فيه صالح الجماعة ، إيماناً منه بأهمية التعاون في أداء العمل ، – قال تعالى- :

﴿....وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ....﴾ [المائدة:٢]

- دعا إلى الإحسان للوالدين :-قال تعالى- :-

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢٤)﴾ [الإسراء:٢٣:٢٤]

- رعاية ذي القربى والإحسان إليهما : -قال تعالى- :-

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)﴾ [الإسراء:٢٦]

- حسن معاملة الجيران والإحسان إليهم :-قال تعالى-،-

﴿.... وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ .... ﴾ [النساء:٣٦]

- حسن معاملة غير المسلمين مالم يعتدوا ، -قال تعالى-،-

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨]

- الإحسان إلى اليتيم عملاً بقوله - تعالى-،-

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضُّحى:٩:١٠]

- الدعوة إلى ستر العورة وغض البصر وإخفاء الزينة إلا للأزواج ، -قال تعالى-،-

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ .... ﴾ [النور:٣٠:٣١]

- التحذير من الغيبة والنميمة ، - قال تعالى- ،-

﴿.... وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ .... ﴾ [الحُجُرات:١٢]

وقال تعالى ،- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم:١٠:١١]

- النهي عن التجسس والتفاخر، التكبر.

قال تعالى ، ﴿.... وَلَا تَجَسَّسُوا .... ﴾ [الحُجُرات:١٢]

قال تعالى ، ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨]

- النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والشح :-

-قال تعالى- ،

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩]

- التحذير من الخيانة والكذب وسوء الظن -قال تعالى-،-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧]

وقال تعالى،- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ .... ﴾ [الحجرات:١٢]

- الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالرحمة ، قال تعالى ،- ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤]

وقال تعالى ،﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد:١٧]

- التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع ، والمتمثل في إخراج زكاة المال والزروع والثمار، وبيان مواضع صرفها ، وكذلك الصدقات وبيان مخارجها ومستحقيها ، وهي كلها عظيمة الفائدة إذ تدعم الروابط بين طبقات المجتمع وتشعر الفقير بتضامن الناس معه وحرصهم عليه وتشيع المحبة بين الغني والفقير، وقد وردت آيات كثيرة تحث على إخراج الزكاة والتصدق على الفقراء والمحتاجين وهو في هذا الصدد يبين أن الملكية في الإسلام ملكية استخلاف وأن المال مال الله وهو يعطينا هذا المال لننفقه في وجوه الخير وما يعود بالنفع على من حولنا ، ويسبب لنا السعادة والرضا " فالله هو خالق الكون ومالكه ، والمال ماله ، ولا يملك

صاحبه منه إلا حق الانتفاع به ، فهو عنده وديعة ينفق منه في حدود أوامر الله "[1]

يقول تعالى ، ﴿ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد:٧]

وقد حددت المنهج القرآني مصارف الزكاة ومستحقيها في قوله :

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧]

وقال تعالى في الحث على إخراج الزكاة ،

﴿ ... كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام:١٤١]

وليس معنى أن الإسلام دعا الأغنياء ورباهم على البذل والعطاء أن ذلك سيولد طائفة تأنس إلى هذا البذل وتخلوا إلى الراحة وتقنع بالعيش على الزكاة وما يعطى لهم من صدقات فقد حث الإسلام على العمل والسعي ، ويروى عن النبي - ﷺ - أنه رأى رجلاً قد تجرد للعبادة ولزم المسجد ليلاً ونهاراً فسأل : من يعوله وينفق عليه فقيل أخوه ، فقال - عليه السلام - : (إنه أعبد منه) .

إن طبيعة تكوين المجتمع الإسلامي العامل الكادح النشيط لا تسمح بوجود طبقة من الفقراء المحتاجين " فقد دل التطبيق في حالاته السليمة على أن

١- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٩٦ .

الدولة كانت لا تجد من يستحق الزكاة من المسلمين ولا من أهل الذمة فتضعها في الصالح العام ، وكما أمر القرآن بالعمل واعتبره عبادة ، فقد ربى المسلمين على العزة التي لا تسمح لصاحبها أن يعيش عالة على صدقات الناس ، وليس البذل الذي يعنيه القرآن هو مجرد إعطاء الصدقة للفقير أو السائل – كالمعهود في بعض المجتمعات – ولكن مفهوم تحديده في سبيل الله : أنه للصالح العام ؛ يعطى للدولة الحق أن تنظمه وتضعه في مصارفها التي حددها القرآن "(١)

" ولقد كان الرسول- ﷺ- حريصاً على هذه المعاني ، حتى وصلت تربيته ببعض المسلمين إلى حد أنهم كانوا يرفضون أن يأخذوا حقهم من بيت المال "

وعن حكيم بن حزام قال : " سألت رسول الله – ﷺ- فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم ، هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أسأل أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يأخذ منه شيئاً . ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى . فقال يا معشر المسلمين أشهدكم(٢) على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه ولم يأخذ حكيم شيئاً من أحد من الناس حتى توفي " (٣)

١- منهج القرآن في التربية . محمد شديد ص ٢٠٠ .
٢- نفسه ص ٢٠٠ .
٣- رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وفي أمثال هؤلاء الذين لا يظهرون فقرهم للناس حتى يحسبونهم أغنياء غير محتاجين يقول القرآن الكريم :-

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾ [البقرة:٢٧٣]

٢- علاقة المجتمع بجيرانه :-

لم يترك المنهج القرآني العلاقة بين المجتمع وجيرانه من المجتمعات الأخرى هكذا بغير نظام ، بل وضع لها الأطر والحدود التي تجعل علاقة الجوار طيبة.

أ- فقد أوجب الحفاظ على سلامة الوطن وأمنه وأن تكون حدوده في أمن من غارات العدو واعتداءاته فدعا إلى الجهاد حفاظاً على البلاد وحمايتها من مؤامرات وكيد الأعداء .

وجعل الجهاد فرضاً على أبناء الوطن ، قال تعالى:-

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج:٧٨]

كما يحث المنهج القرآني المسلمين على الجهاد الحق ، والثبات في مواجهة الأعداء ، يقول تعالى:-

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ﴾ [الأحزاب:٢٣:٢٤]

ويدعو إلى الصبر عند لقاء العدو ، قال تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

ويدعو -أيضاً- إلى الحذر والانتباه لمكر العدو وخديعته ، يقول تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ [النساء: ٧١]

كما يدعو إلى التسلح بالقوة والاستعداد لملاقاة العدو في أي وقت ، قال تعالى :-

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ويبين أن القوة ليست في كثرة عدد المحاربين إنما في مدى ثباتهم وصدقهم في القتال ، فقد يكون عدد الجنود قليلاً لكن الشجاعة والثبات وصدق القتال يجعلهم كثيراً في عين عدوهم ، يقول تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥: ٦٦]

والمنهج القرآني الذي فرض الجهاد وأوجبه فقد جعله للدفاع عن النفس والعقيدة ، وليس للاعتداء على الآخرين ، قال تعالى :-



﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة:١٩٠]

ومعلوم أن المسلمون في فتوحاتهم شرقاً وغرباً في مملكتي فارس والروم لم يكونوا معتدين ، إنما كانوا فاتحين منشرون دين الله وكلمة الحق ، وكانوا نبلاء في حروبهم ، فلم يحرقوا زرعاً ، ولم يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة عملاً بوصايا النبي- ﷺ- للمحاربين الذين يتشدق الساسة والمصلحون الآن أنها حقوق الإنسان التي وضعتها الأمم المتحدة ، وهي في حقيقة الأمر من وصايا نبينا- ﷺ- أوصى بها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن تكون هناك أمم متحدة وحتى قبل أن توجد أمريكا نفسها .

نعم كان المحاربون المسلمون فرساناً يحاربون من منطلق الحق وطبيعة الإسلام السمحة ، وقد أثبت التاريخ أن كثيراً من البلاد التي فتحها المسلمون فتحت سلماً ، فلم يكونوا يحاربون الإمَن أصر على القتال ، فإن طلب المسالمة والصلح كانوا يتوقفون عن القتال رغبة في السلم والأمان .

ويثبت التاريخ أن أهل الذمة وأصحاب الأديان الأخرى كانوا يعاملون معاملة طيبة في كنف الحكم الإسلامي .

ب – وفي إطار علاقات الدولة بجيرانها يأمر المنهج القرآني بضبط النفس ، عدم الاعتداء بدافع الكراهية والانتقام ، يقول تعالى:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

ولا شك أن ضبط النفس في كثير من الأمور الدولية يبعد شبح الحرب والصراع بين الدول والقرآن بذلك يفتح باب التفاوض والحوار واستماع وجهات نظر كل طرف وهذا من شأنه أن يوصل إلى حل يطرأ من مشطلات تجنب الدول كثيراً من الصدام والقتال الذي يهلك الأنفس والثمرات ويورث الخصومة بين الدول .

ويجعل الأجيال المتعاقبة تعيش في قلق فتتوقف التنمية ويتعطل الإنتاج ، وهذا بدوره يؤثر في عجلة الحضارة والتقدم .

جـ - الميل إلى السلم إذا مال إليه الجانب الآخر وهذا توجه قرآني يبرز حرص المنهج التربوي على سلامة الشعوب ، إذ يقدم خيار السلم على خيار الحرب والقتال ، يقول الله -سبحانه وتعالى-:-

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد:٣٥]

ويقول تعالى :-

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال:٦١]

وفي نفس الإطار يقول عز من قائل محذراً من الخديعة :

﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال:٦٢]

د- إقامة العلاقات مع الدول على أساس الوفاء بالعهد والمحافظة على المواثيق .

"وقد قضى القرآن الكريم على فكرة مصلحة الأمة واستباحة الغدر والكذب ونقض العهود بحجة هذه المصلحة ، ذلك بأنه يعتبر الوفاء في ذاته غاية" [1]

١- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٧٠ .

يقول تعالى :-

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) ﴾ [النحل:٩١:٩٢]

فإذا خيفت الخيانة كان الرجوع والإنذار بالحرب ، يقول تعالى :-

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]

وقد التزم المسلمون هذا السنن القرآني فكان الوفاء بالعهد شيمتهم ، وأصبحت الخيانة صفة ذميمة يمقتها المسلم أينما كان .

وكان – عليه الصلاة والسلام – في وصاياه للمحاربين الفاتحين بعدم الخيانة والتحذير منها وكان يقول : " اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا " [١]

"ولما كان معاوية بن أبي سفيان في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد أراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى العهد غزاهم ، فقال له عمرو بن عنبسة : الله أكبر يا معاوية ، وفاء لا غدر، لقد سمعت رسول الله-  - يقول : "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أحدها أو ينبذ إليهم على سواء "فرجع معاوية بالجيش "[٢]

١- مسلم وأبو داود والترميذي .
٢- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٧٥ .

الإرشاد القرآنيّ يقود
حياة الإنسان إلى خير .

لم يترك المنهج القرآني حياة الإنسان تسير عبثا ، إنما لا زمها وأخذ بزمامها إلى الطريق المستقيم ، واتخذ لذلك طرائق كثيرة منها :

١- اللجوء إلى الله بالدعاء وطلب العون والمساندة والتضرع إلى خالق الأرض والسماء .

ولكن لماذا اللجوء إلى الدعاء ؟

لأن فيه اعتراف بوحدانية الله وإقرار بالعبودية وفي الدعاء والتضرع إلى الله تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله ، وقد كان الرسول- ﷺ - يلجأ إلى الله في كل صغيرة وكبيرة يستعين به ويستهديه ويدعوه ويطلب منه العون آناء الليل وأطراف النهار وقد أثر عنه كثير من الدعاء وعلمه لأصحابه ، يقول تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر: ٦٠]

ويقول - تعالى- آمراً بالدعاء والتضرع :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾ [الأعراف:٥٥]

وهو يطمئن الإنسان المسلم إلى أن الله قريب يسمع الدعاء ، ويجيب من يلجأ إليه ويدق بابه ، يقول تعالى :-

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة:١٨٦]

ومن أجل ذلك كانت الاستخارة وما يصحبها من دعاء إذا هم الإنسان بأمر من الأمور يستخير ربه ، ويأخذ منه المدد ويطلب منه أن يرشده إلى خير الأمور وييسر له سبل الخير.

كان رسول الله-  - القدوة ، إذ علمنا كيف تكون الاستخارة : فيقول :

" إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسلك من فضلك العظيم ، فأنك تقدر ولا

أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به "[1]

ولأن الدعاء مخ العبادة ، فقد كان الأنبياء ، يدعون ربهم ويلجأون إليه ، فهذا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يدعو ربه : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨٣:٨٩]

وجميل حقاً أن يجد له رباً يلجأ إليه ، وجميل أن يشعر الإنسان أن له معينا وسنداً .

إن المدنية الحديثة والتقدم العلمي المادي في شؤون الحياة ، وما جاء به من رفاهية لم يحقق لكثير من البشر والسعادة ، لأنها مدينة ركزت على جانب الحياة المادي ، وأغفلت جانب الروح فتبددت السعادة ، والشعور بالرفاهية ، لذلك كثرت حالات الانتحار والخلاص من الحياة عند كثير من هذه الدول المتقدمة على ما فيها من متعة ورفاهية وسبل راحة .

فقد أفقدتهم المدنية مشاعر السعادة وأورثتهم القلق والصراع والتناحر، وعدم الرضا ، فكان الجنون والصرع والأمراض النفسية المزمنة التي انتهت بكثير منهم إلى التخلص من حياتهم بالموت .

---

[1]- البخاري وأبو داود .

أما " إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج، إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة والمضاء "[1]

٢ - الصلاة والاستعانة بها وبالصبر في مواجهة الحياة فقد حث عليها القرآن وأوجب أداءها في أوقاتها، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٨:٧٩]

والصلاة طهرة للإنسان، وتجديد للعهد بينه وبين ربه لأنه في كل وقت يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسوله.

والإنسان حين يقف مناجياً ربه أثناء صلاته فإن الله يطهره ويصلح ما في نفسه من أدران وعيوب إذ يستل منه الحقد والحسد، والأنانية، والكراهية ويضع مكانها؛ الرضا والقناعة والمودة وطيب النفس، والهدوء والسكينة، لذا تجد من يداوم على الصلاة في أوقاتها يحيا حياة طيبة مرتاح البال، وصدق رسول البشرية- ﷺ - إذ كان يقول لبلال بن أبي رباح :" أرحنا بها يا بلال "

نعم هي تكسب الإنسان الراحة، وتعوده النظام والعمل في جماعة واتباع رأيها وعدم الخروج عن الإجماع، وتعوده طاعة الإمام واحترام الجوار، والهدوء.

وهذا ليس بدعاً ولا مبالغة ولنضرب مثالاً من حياتنا :

افترض أنك تمتلك سيارة، ومن باب المحافظة عليها تعرضها على الميكانيكي الذي يعرف أسرارها كل يوم، فكيف يكون حال هذه السيارة ؟ لاشك أنها ستكون في حالة ممتازة جداً.

---

[1] - منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٨٨ .

فما بالك بالإنسان ، يعرض نفسه على ربه ويقف بين يديه خمس مرات كل يوم . . هذا الوقوف المتكرر أمام الله ، يصلح ما في نفسه ويكسبه الخير ، لأننا حين نقف أمام الله في الصلاة لا ندري ما الذي يصلحه فينا وما الذي يفعله في نفوسنا لأنه أدرى بنا وأعلم بكل إنسان " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " وصدق الله القائل في فائدة الصلاة :

﴿.... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .....﴾ [العنكبوت:٤٥]

٣- الصوم وتربية النفس وتهذيبها إذ ليست حكمته في الامتناع عن الطعام والشراب فقط بل حكمته في التزام العهد مع الله وتنمية الضمير وتعويده على الصدق ومراقبة الله -عزوجل- فضلاً عن شعورة بآلام الجوع والعطش والإحساس بما يحس به المحتاجون من الفقراء والمساكين عندئذ يرقّ قلبه ، ويكون التآلف والعطف على الآخرين .

والصوم مدرسة يتعلم فيها الإنسان مكارم الأخلاق حين يمتنع عن بذيء الكلام وفاحش القول ، وإذا سبه أحد أو شاتمه يقول له " إني صائم " من هنا يطيب الخلق ويعتاد التسامح وحسن معاملة الآخرين ، وفيه تدريب على مغالبة الشهوات والانتصار على النفس .

وتلك أسمى دروس التربية والإصلاح .

ياله من دين قيم !

لذا كان الصوم وكان فرضه لصالح المسلمين :

يقول تعالى :-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣]

٤- وفي الزكاة طهرة للمال وتنقية له ليكون حلالاً ينفع صاحبه وإقرار من العبد أمام ربه أن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف فيه يؤدي حقاً

معلوماً منه للسائل والمحروم ، ذلك أن " حب المال والحرص عليه والضن به والأثرة من أجلى مظاهر الضعف البشري ؛ بل إنه سبب أدواء مهلكة للنفس ، وسبيل إلى العداوة والبغضاء والحسد ، وتصدع بناء المجتمع يؤدي إلى الفساد والشقاء . والغني والفقر ظاهرة من ظواهر الحياة لا سبيل إلى تغييرها أو القضاء عليها ، والمساواة بين الناس مستحيلة ما داموا يتفاوتون في المواهب والتفكير ويختلفون في طرائق الحياة . ومنهج القرآن في بناء المجتمع لا يترك المال دوله (متداولاً) بين الأغنياء فقد فتت الثروة بالميراث ، وقرب المسافة بين الغني والفقير بالبذل والزكاة وضمن الحياة الكريمة للفقير بكفالة الدولة وحرم الربا حتى لا ينموا المال بغير جهد " [1]

" والمال زينة محببة إلى النفس ، يؤدي حبه إلى التعرض في جمعه للشبهات والنفاق والذل ، كما يؤدي الحرص عليه إلى الشح والأثرة وقطيعة الرحم وعداوة المجتمع ، والوقوف من الواجبات موقف البخيل الذي لا يتفق مع رجولة أو خلق أو كرامة ؛ وكلها موبقات للنفس ، ودلائل على الضعف ، ودواع للعداوة والبغضاء . ولا يقضي القرآن على كل هذه الأدواء بمجرد التشريع والأمر بدفع الزكاة كضريبة تحصلها الدولة ، ولكنه يتخذ خطوات تربوية حتى ينتهي بالنفس إلى البذل رغبة وطواعية وحباً وتطهيراً ، قد بدأ بالمعرفة وتقدير نظرية المال حتى يفهم المالك حقيقة وضعه من ماله . فالله هو خالق الكون ومالكه ، والمال ماله ، ولا يملك صاحبه منه إلاّ حق الانتفاع به ، فهو عنده وديعة ينفق منه ينفق في حدود أوامر الله " [2]

[1]- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٩٥ .
[2]- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ١٩٥ .

وفي هذا الصدد يحث على إنفاق المال طوعاً في سبيل الله ويرشد المسلم إلى الوجوه التي يصرف فيها زكاته، يقول: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة:١٧٧]

إن فريضة الزكاة تعلمنا بذل المال والسخاء وتعيننا على الانتصار على داء الشح المهلك، وتساعدنا على التحرر من عبودية المال، والمساهمة في وجوه الخير التي تفيد المجتمع وفي ذلك كله طهرة للمال وتزكية للنفس، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا .... ﴾ [التوبة:١٠٣]

٥- وفي فريضة الحج وأدائها دروس تربوية غالية، وهي تستعرض من المسلم عدة أيام حتى يتم مناسكها يظل محافظاً على نفسه من الشهوات مقاوماً وفي ذلك تدريب عظيم للنفس التي جبلت على طاعة الهوى.

ومن الدروس العظيمة لهذه الفريضة الشعور بالمساواة إذ يقف الفقير بجوار الغني، والضعيف بجانب القوي لا فرق بينهم جميعا.

وملابس الإحرام هذا الذي الموحد إشعار بتساوى البشر أمام رب الأرض والسماء.

ملابس واحدة ودعاء واحد ومناسك واحدة، كلها أمور تشعرك بالمساواة بين البشر جميعاً، حقا إنه الدين الحنيف، يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ [البقرة:١٩٧]

وحسب المؤمن من الحج إحساسه بأنه في ضيافة الله ، متعرض لنفحاته ومغفرته وفضله ، يعيش أياماً متجرداً من دنياه ، في جو كله الحب والفناء في الله، جو يعود به إلى ذكرى جده إبراهيم ، فيسعى بين الصفا والمروة ، فيذكر سعي هاجر بحثاً عن الماء ، وينحر الهدى فيذكر قصة الطاعة المؤمنة والحب وإيثار ما عند الله"[1]

الإسلام دين الفطرة ، لذا جاء منهج العبادة يلبي مطالبة ويوافق فطرته ، ويجعل من العبادات ، الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائل تنير له الطريق ، وتقدم له العلاج لما عنده من ضعف حتى يصل إلى غايته المنشودة ويؤدي رسالته التي كلف بها على خير وجه ، والتي لن تتحقق إلا باتباع الصراط المستقيم والسير فيه حتى تتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة يقول تعالى ،

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ....﴾ [الأنعام:١٥٣]

صدق الله العظيم .

---

[1]- منهج القرآن في التربية , محمد شديد ص ٢١٣ .

ما يمتاز به
المنهج القرآني التربوي

يبقى لنا بعد أن تجولنا في رياض هذا المنهج القرآني التربوي يطيب لنا أن نلتمس مميزات هذا المنهج التي جعلته يفوق غير من المناهج .

١. هو منهج يدرك طبيعة النفس البشرية ، وما تشمل عليه من خير وشر وفجور وتقوى ، يقول تعالى : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٨: ١٠] ويقول عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق:١٦]

نعم يدرك طبيعتها وما تنطوي عليه من خيرية وحب للناس وإشفاق على الضعيف .

ويعلم – أيضاً – ما تنطوي عليه شر يتمثل في الكيد والحسد والبغضاء والكراهية ، وحب التعالى ، والغرور.

لذلك يتعامل المنهج القرآني مع النفس من هذا المنطق فلا ينفك يهذب ، ويعلم ويروض ، لينزع ما فيها من سيء الصفات .

يعالج متئداً في تأن وروية ، ويتدرج بالعلاج حتى يكون ناجعاً .

وانظر إلى هذا المنهج القويم إذ يذكر للإنسان المحرمات ويبرز له المحظورات ليبعده عنها ، يقول تعالى :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ....﴾ [المائدة:٣]

ويقول تعالى:-

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [الأنعام:١٥١]

وفي وصايا لقمان يحذر ابنه من التعالي والتكبر والاختيال والإعجاب بالنفس لأن ذلك يشين الإنسان وينفر منه الناس من حوله .

ولا تكاد تخلو سورة القرآن الكريم من تحذير من صفة سيئة أو من عمل مكروه ، كما لا تخلو من إرشاد أو دعوة إلى الخير.

وما ذلك إلا لأن المولى سبحانه وتعالى يضع لهذه النفس طرائق العلاج ووسائل الشفاء لما تنطوي عليه من شر.

٢. وهو منهج شامل . بمعنى أنه تناول في طياته كل مناحي الحياة ، وما بين الناس من معاملات ، وعلاقات وما على المرء من واجبات والتزامات وكذلك تناول الأسس التي تنبني عليها علاقة الحاكم بالمحكوم وما بين الدول من علاقات وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قول الله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:٢١]

كما بين أن هذا المنهج الشامل جاء لمصلحة البشر ، وليبين لهم حدود كل شيء ويصل بهم إلى الصواب في الأمور التي يختلفون فيها ، يقول تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل:٦٤]

إن مجال التربية القرآنية شامل ، إذ يتناول الإنسان وما يتعلق به من أمور بدنية وروحية ، كما يتناول البيئة المحيطة به من أرض وسماء وما فيهما من دواب وكائنات ومخلوقات .

شمول يجيب عن كل تساؤل ، ويضع الحل لكل استفسار وما ذلك إلا لأنه من عند الله ، فلا يعتريه نقص أو ضعف ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣]

فما جاء به هذا المنهج القويم أثبت صلاحيته لكل زمان ومكان ، وخاطب كل العقول والأفهام ، حتى في عصر التكنولوجيا والتقدم العلمي ، يقف العلماء

في دهشة وإعجاب لما يرونه ماثلاً أمامهم من آيات نزلت منذ أربعة عشر قرناً تؤكد شمولية وروعة محتواه .

٣. وهو منهج لاتشدد فيه ولا مغالاة . ويبدو ذلك في :-

- الدعوة إلى الإنفاق ، يحث على عدم التبذير ويحث على عدم التقصير ، وأن يتخذ الإنسان طريقاً وسطا :يقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان:٦٧]
- الدعوة إلى الاعتدال في السير وخفض الصوت ، يقول تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٩]
- وفي الصلاة يأمر بأن يكون المسلم وسطا في صلاته يقول تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء:١١٠]
- ويدعو هذا المنهج القويم إلى العناية بالروح والجسد ، فدعا إلى ما يصلح جسد الإنسان ويبقيه سليما ، كما اهتم بالجانب الروحي وتهذيب الإنسان ، ولم يغلب جانباً على الآخر حتى تستقيم حياة الإنسان .

" إن اتباع الوسيطة في التشريع ينأى بالمسلم عن التطرف الجامح أو الإهمال المزري الذي يقصر عن تحقيق المصالح الشامله وبلوغ المقاصد في الأمور كلها ، وهو ما توصم به معظم التشريعات فمنها ما ينحو نحو الفردية المطلقة التي تكرس مصلحة الفرد وتنكر مصلحة الجماعة أو تتجاهلها ، ومنها ما يتجه إلى الجماعة المفرطة ، فتميت البواعث الفردية وتقتل المواهب الشخصية ، والأول

شأن المذهب الفردي ، والثاني شأن المذهب الاجتماعي ، والإسلام يتوسط بين المذهبين ، مع الاحتفاظ بخصوصية الإنسانية . . . وجملة القول : إنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدنيا معاً ".[1]

٤. وهو منهج يقوم على المساواة ، يساوي بين الناس جميعاً ، قويهم وضعيفهم ، فقيرهم وغنيهم ، يساوي بين الذكر والأنثى في الثواب والعمل الصالح ، ويجمعهم في بوتقة واحدة هي بوتقة الأخوة " إنما المؤمنون إخوة وقد أعلن رسول البشرية محمد- ﷺ - هذه المساواة في خطبته في حجة الوداع ،

" أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ".

" إنما جمع الإسلام الديانات الأخرى وضمنها رسالته ، انطلاقاً من حقيقة أن مدارك الأفراد مختلفة ، وتوجهاتهم متباينة ، ومصالحهم متعارضة ، فأراد أن يجمعهم على التعاون ، وأن يسير بهم نحو التكامل ، وإذا كان ذلك حاصلاً بين أفراد المجتمع الواحد ، فهو أكثر وقوعاً بين الأمم والشعوب ، لكن التفكير الإسلامي قائم على حقيقة اجتماعية ، وهي أن الإنسان ولد ليعيش ، وما كان له أن يبلغ ذلك إلا بالتعاون مع أخيه الإنسان اختياراً أو إجباراً لحاجته إليه وضرورته للجماعة ، وافتقار الجماعة إليه " [2]

---

[1]- من قيم التشريع الإسلامي , أ . د محمد الشحات الجندي ص ٤١ .
[2]- من قيم التشريع الإسلامي , أ د . محمد الشحات الجندي ص ٩١ .

٥. وهو منهج ليس فيه تشدد بمعنى أنه يدعو إلى التيسير في كل أمور الحياة كل إنسان حسب إمكاناته وقدراته وقد نص على ذلك في مواضع كثيرة منها قوله تعالى :-

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ .... ﴾ [البقرة:٢٨٦]

وقوله تعالى :-

﴿.... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ .... ﴾ [البقرة:١٨٥]

ومن باب التيسير في العبادات لم يلزم الإنسان بالصلاة على حالة واحدة إنما يسر له فجعل للمريض كيفية يصلى بها وللمحارب كيفية يصلى بها ، حتى يؤدي ما عليه من فريضة كما يسر على الإنسان الذي بسهو في صلاته بأداء سجود السهو ، وكذلك الجمع بين الصلاتين والتقديم أو التأخير لمن كان مسافراً .

وفي مجال الحج جعله لمن استطاع إليه سبيلا كما جعل كثيراً من اليسر على المرء عند تأوية هذه الفريضة إذا قدم شيئاً على شيء أو نسي شيئاً .

وفي عبادة الصوم جعل القضاء لمن أدركه رمضان وهو مريض أو كان مسافراً ، كما جعل لمن أكل ناسياً في نهار رمضان أن يتم صومه .

وقد أكد المعصوم- ﷺ -هذا التيسير في حديثه " يسروا ولا تعسروا وبشروا وسكنوا ولا تنفروا "

المنهج القرآني
في
رأي الغربيين والأجانب

لقد شهد الخلق جميعاً بعظمة هذا المنهج القرآني في التربية حتى غير المسلمين ، وفي مقال للدكتور / عماد الدين خليل[1] أبرز شهادة نفر من هؤلاء . .

يذكر شهادة (بوتر) التي تقول[2] : "عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها . وأنه لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكيب الدينية . أو القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة .

وفي شهادة أخرى عن رجل يدعى (بوكاي) ، يقول " لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف قبل هذه الدراسات وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقوله قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث " على ويقول بوكاي[3] : " لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بالظاهرات الطبيعية ، وهي تفاصيل لا يمكن أن ندرك إلا في النص الأصلي " .

١- مجلة الأزهر (مقال قالوا عن القرآن) ص ١٧٢٥ , ١٧٢٦ , ١٧٢٧ عدد شوال / سبتمبر ٢٠١١ .

٢- ديبورا بوتر ولدت عام ١٩٥٤ بمدينة ترافيرز في ولاية ميتشجان الأمريكية وتخرجت في فرع الصحافة بجامعة ميتشجان , اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠ .

٣- موريس بوكاي : الطبيب والعالم الفرنسي المعروف . كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التي عالجت موضوعاً كهذا , أصالة واستيعابا وعمقا .

ويذكر الدكتور / عماد الدين خليل شهادة أخرى عن رجل انجليزي يدعى (بيكارد) وأنه قال : " ابتعت نسخة من ترجمة سافاري الفرنسية لمعاني القرآن وهي أغلى ما أملك فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيرا حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة الخالدة قد أشرق عليّ بنوره المبارك "[1]

ويذكر الكاتب شهادة داود[2] وهو رجل هندى الأصل . يقول عن القرآن " تناولت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية ، لأنني عرفت أن هذا هو الكتاب المقدس عند المسلمين ، فشرعت في قراءته وتدبر معانيه ، لقد استقطبت جل اهتمامي ، وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت الإجابة المقنعة عن سؤالي المحير (الهدف من الخلق) ، ويقول داود أيضاً :

" إن دراستي للقرآن الكريم وضحت أمام ناظري العديد من الإشكالات الفكرية وصححت الكثير من التناقضات التي طالعتها في الكتب السماوية السابقة "

وهكذا تستمر شهادة الغربيين والأجانب من غير العرب لتثبت أنه المنهج التربوي الصالح لكل زمان ومكان .

١- وليم بيرشل بيكادر انجليزي مؤلف وكاتب مشهور .
٢- عامر علي داود ينحدر من أسرة هندية برهمية تنصرت على أيدي المبشرين ولما أتيح له أن يطلع على القرآن الكريم كان الجواب هو انتماؤه للإسلام .

تتمة

وتبقى كلمة أخيرة نقولها لوجه الله تعالى لا نبتغي من ورائها إلا الإصلاح فبعد أن تناولنا بعض ملامح هذا المنهج القرآني التربوي نشير إلى أهمية أن نتناول كليات التربية والتربويون أبعاد هذا المنهج وما اشتمل عليه من أسس وحقائق وأن يطلع عليها أبناء هذا الجيل لأن ما جاء به هو الأسبق ، قبل أن تظهر نظريات الغرب وعلمائه من التربويين ، والتي ندرسها باهتمام بالغ في كلياتنا ناسين وغافلين عن هذا الكنز الكبير والدر الثمين الموجود في ثنايا القرآن الكريم .

لا مانع أن يدرس الطالب هذه النظريات والآراء الغربية ، لكن بعد أن يكون قد طاف في ثنايا منهجنا القرآني ، وعرف آراء العلماء والمصلحين العرب المسلمين .

المحلة الكبرى .

غزة شوال / ١٤٣٢

٢٠ من أغسطس ٢٠١١

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- تاريخ الطبري.

٤- منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢.

٥- تربية الأولاد في الإسلام، أبو عبيدة أسامة بن محمد الجمال مكتبة أبى بكر الصديق ٢٠٠٧.

٦- القرآن في التربية الإسلامية، نديم الجسر عن مجلة الأزهر ١٤٣٢.

٧- من قيم التشريع الإسلامى، أ. د محمد الشحات الجندي سلسلة دراسات إسلامية عن وزارة الأوقاف ١٤٣٢ هـ / أغسطس ٢٠١١.

٨- مجلة الأزهر عدد شوال ١٤٣٢ هـ / سبتمبر ٢٠١١.